من مات على اربع كلمات نجاة الله تعالى من جميع ملل الكفر

بحث في درلست في كتب السنة ٢

عبد الفتاح ايت بلخير
قسم: الحديث
العلوم الإسلامية ـ جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
AC222@lms.mediu.edu.my

خلاصة البحث:
هذا البحث سيدرس حديثا عظيما من أحاديث المسند الصحيح للإمام مسلم،احتوى على كلمات اربع جعلها النبي –صلى الله عليه وسلم-فارقا بين الحق والملل الأخرى الضالة.

مفاتيح البحث :
حديث عبادة بن الصامت –رضي الله عنه-سنل ومتنا - دراسة حديثية موجزة لسند الحديث- أقوال الفقهاء حول فقه الحديث

I. المقدمة :

ذكر الإمام مسلم في المسند الصحيح حديثا عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه صلى الله عليه وسلم جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاختصر صلى الله عليه وسلم في هذه الكلمات على ما يباين به جميع ملل الكفر.

II. موضوع المقالة:

قال الإمام مسلم :حدثنا داوود بن رشيد قال: حدثنا الوليد يعني ابن مسلم عن بن جابر قال: حدثني عمير بن هانئ قال: حدثني جنادة بن أبي أمية قال: حدثنا عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء))

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، حَدَّثَنَا مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ((أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ)) وَلَمْ يَذْكُرْ ((مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)).

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ عَنِ الصُّنَابِحِيِّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عليه وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللَّهِ! لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عليه النَّارَ))

قال الإمام النووي –رحمه الله -:

قوله: "حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد -يعني: ابن مسلم- عن ابن جابر قال: حدثني عمير بن هانئ قال: حدثني جنادة بن أبي أمية، قال: حدثنا عبادة بن الصامت" أما رُشَيد -فبضم الراء وفتح الشين- وأما الوليد بن مسلم فهو الدمشقي صاحب الأوزاعي، وقد قدمنا في أول هذا الباب بيانه.

وقوله: "يعني: ابن مسلم" قد قدمنا مرات فائدته، وأنه لم يقع نسبه في الرواية، فأراد إيضاحه من غير زيادة في الرواية، وأما -ابن جابر- فهو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الدمشقي الجليل، وأما هانئ فهو بهمز آخره، وأما جُنادة -بضم الجيم- فهو جَنادة بن أبي أمية، واسم أبي أمية كبير: الباء الموحدة، وهو دوسي أزدي، نزل فيهم شامي، وجنادة وأبوه صحابيان، هذا هو الصحيح الذي قاله الأكثرون، وقد روى له النسائي حديثًا في صوم يوم الجمعة: "أنه دخل على النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثمانية أنفس، وهم صيام"، وله غير ذلك من الحديث الذي فيه التصريح بصحبته، قال أبو سعيد بن يونس في "تاريخ مصر": كان من الصحابة، وشهد فتح مصر، وكذا قال غيره، ولكن أكثر رواياته عن الصحابة، وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي: قال ابن عبد الله العجلي: هو تابعي من كبار التابعين، وكنية جنادة أبو عبد الله، كان صاحب غزو -رضي الله عنه- والله أعلم..

وهذا الإسناد كله شاميون إلا داود بن رشيد، فانه خوارزمي سكن بغداد.

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((من قال أشهد أن لا اله إلا الله وحده وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من ي أبواب الجنة الثمانية شاء)) ؛ هذا حديث عظيم الموقع، وهو أجمع -أو من أجمع- الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه -صلى الله عليه وسلم- جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاختصر -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم، وسمي عيسي -عليه السلام- كلمة؛ لأنه كان بكلمة "كن" فحسب، من غير أب، بخلاف غيره من بني آدم.

قال الهروي: سمي "كلمة" لأنه كان عن الكلمة، فسمي بها، كما يقال للمطر رحمة قال الهروي: وقوله تعالى: {وَرُوحٌ مِنْه} أي: رحمة.

وقال لي عرفة: أي ليس من أب، إنما نفخ في أمه الروح.

وقال غيره: {وَرُوحٌ مِنْه} أي: مخلوقة من عنده، وعلى هذا يكون إضافتها إليه إضافة تشريف، كناقة الله، وبيت الله، وإلا فالعالم له -سبحانه وتعالى- ومن عنده، والله أعلم

قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)) هذا محمول على إدخاله الجنة في الجملة، فان كانت له معاصٍ من الكبائر، فهو في المشيئة، فان عذب ختم له بالجنة، وقد تقدم هذا في كلام القاضي وغيره مبسوطًا مع بيان الاختلاف فيه، والله أعلم.

قوله: "عن ابن عجلان عن محمد بن يحيي بن حيان عن ابن محيريز عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنه قال: دخلت عليه وهو في الموت، فبكيت، فقال: مهلا" أما ابن عَجلان -بفتح العين- فهو الإمام أبو عبد الله محمد بن عجلان المدني مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة كان عابدًا فقيهًا، وكان له حلقة في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان يفتي وهو تابعي، أدرك أنسًا وأبا الطفيل، قاله أبو نعيم، روي عن أنس والتابعين، ومن طرف أخباره: أنه حملت به أمه أكثر من ثلاث سنين..

وأما "حَبان" فبفتح الحاء، وبالموحدة، ومحمد بن يحيى، هذا تابعي سمع أنس بن مالك -رضي الله عنه

وأما "الصُنابحي" -بضم الصاد المهملة- فهو أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة -بضم العين وفتح السين المهملتين- المرادي، و"الصنابح" بطن من مراد، وهو تابعي جليل، رحل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقبض النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو في الطريق، وهو بالجحفة، قبل أن يصل بخمس ليال أو ست، فسمع أبا بكر الصديق، وخلائق من الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-، وقد يشتبه على غير المشتغل بالحديث الصنابحي هذا بالصنابح بن الأعسر الصحابي -رضي الله عنه- والله أعلم.

واعلم أن هذا الاسناد فيه لطيفة مستطرفة من لطائف الإسناد، وهي: أنه اجتمع فيه أربعة تابعيون، يروي بعضهم عن بعض ابن عجلان وابن حبان وابن محيريز والصنابحي، والله أعلم.

قال مسلم -رحمه الله-: حدثنا يحيى بن يحيى قال: أنا هشيم عن صالح بن صالح عن الشعبي قال رأيت رجلا سأل الشعبي فقال يا أبا عمرو إن من قبلنا من أهل خراسان ناس يقولون كذا فقال الشعبي حدثني أبو بردة عن أبيه، فهذا الحديث من النوع الذي نحن فيه، فتقديره: قال هشيم حدثني صالح عن الشعبي بحديث قال فيه صالح: رأيت جلا سأل الشعبي، ونظائر هذا كثيرة سننبه على كثير منها في مواضعها -إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

وقوله: "مهلًا" - هو باسكان الهاء- ومعناه: "أتأنى"، قال الجوهري: يُقالُ: مهلًا يا رجل -بالسكون-، وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث، وهي موحدة، بمعنى: أمهل، فإذا قيل لك: مهلًا، قلت: لا مهل، والله ولا تقل: لا مهلًا، وتقول: ما مهل والله بمغنية عنك شيئًا، والله أعلم.

قوله: "**ما من** حديث لكم فيه خير إلا وقد حدثتكموه"
قال القاضي عياض -رحمه الله-: فيه دليل على أنه كتم ما خشى الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل ولا فيه حد من حدود الشريعة، قال: ومثل هذا عن الصحابة -رضى الله عنهم- كثير فى ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة أو لا تحمله عقول العامة أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه لا سيما ما يتعلق بأخبار المنافقين والإمارة وتعيين قوم وصفوا بأوصاف غير مستحسنة وذم آخرين ولعنهم، والله أعلم.

قوله: "وقد أحيط بنفسي" معناه: قربت من الموت وأيست من النجاة والحياة، قال صاحب "التحرير": أصل الكلمة فى الرجل يجتمع عليه أعداؤه فيقصدونه، فيأخذون عليه جميع الجوانب؛ بحيث لا يبقى له فى الخلاص مطمع، فيقال: أحاطوا به، أى: أطافوا به من جوانبه، ومقصوده: قرب موتي، والله أعلم " -انظر شرح النووي على مسلم-.

وقال الإمام القاضي عياض -رحمه الله – في كتابه "**إكمال المعلم**":

" قوله: في حديث عبادة ابن الصامت: ((من قال أشهد أن لا إله إلا الله))

قلت: لا يشترط فى داخل الإسلام النطق بلفظة "أشهد" ولا التعبير بالنفي والإثبات، فلو قال: الله واحد ومحمد رسول الله، كفى، وأما كون النطق بذلك شرطًا في حصول الثواب المذكور فمحتمل.

قوله: ((وأن عيسى ...)) إلى آخره سمى عيسى -عليه السلام- "**كلمة**"، لأنه كان عن كلمة الله تعالى، ثم اختلف فقيل: هي "كن". وقيل: هي التي بشر الملك بها مريم، ومعنى ألقى: أعلم.

وسمى ((**روح**)) لأنه حدث عن نفخ جبريل -عليه السلام- فى درع أمه عن أمر الله تعالى فنسبه الله إليه، وسمي الريح روحًا؛ لأنه ريح يخرج عن الروح. وقيل: المراد بكونه روحًا: أنه حياة. وقيل: رحمة، وقيل: برهان لمن اتبعه، وقيل: لأنه نفخت فيه الروح دون أب، كما قال في آدم -عليه السلام-: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} (١)

قلت: قيل: أن ذكر عبده ورسوله تعريض بالنصارى فيما ادعت من النبوة والتثليث، باليهود فيما قذفت به مريم -عليها السلام- وأنكرت من رسالته.

وسمع بعض عظماء النصارى قارئًا يقرأ: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} (٢) فقال: هذا دين النصارى، يعني: هذا يدل على أنه بعض منه، فأجابه الحسن بن على بن واقد صاحب كتاب "النظائر" بأن الله تعالى يقول: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} و أريد بروح منه أنه بعضه كان ما في السموات وما في الأرض بعضًا منه، وإنما يريد بروح منه أنه من إيجاده وخلقه فأسلم النصراني.

قوله: "أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء" يريد أنه يدخلها في الجملة؛ لأن العاصي في المشيئة.

قلت: لا يبقى للذكر إذًا فائدة؛ لأن من لم يقله فهو أيضًا فى المشيئة، وتقدمت التأويلات الثلاث فى أحاديث الباب، وأن القاضى أقرها على الظاهر، وقال فى هذا: أنه يدخلها ابتداءً، إما لأن ما أضاف إلى الشهادتين من أمر عيسى كفر عنه أو كثر أجره حتى رجحت حسناته، ولا يعارض هذا الحديث حديث: ((إن فى الجنة بابًا يقال له الريان، لا يدخله إلا الصائمون)) لأنه يقتضي أن هذا القائل لو أراد الدخول منه لم يمكن لأنه لا يلزم من التخيير الدخول، فإنه قد يخير، ولا يخلق الله تعالى عنده إيثار الدخول منه.

قوله: ((**على ما كان من عمل**)) يريد: **ولو قبح**.
قلت: ويحتمل أن يريد: **ولو قل**.
قوله: **في الآخر** "فبكيت" **قلت**: يحتمل بكاؤه أنه لما رأى به من كرب الموت، أو لأنه لفقد الانتفاع به، والأظهر أنه لذكره القدوم على الله تعالى؛ لأنه المناسب لتسليته بما ذكر.
فإن قلت: لو بكى لشيء من ذلك لم ينهه؛ لأن البكاء لشيء منها واجب أو مندوب.
قلت: ليست لا للنهي؛ لأنه لم يبك بصوت حتى ينهاه، وإنما هي لبيان العاقبة، كما في قول قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ... غَافِلًا} (٣)
قوله: "ما من حديث ... الخ" قلت: نفي الخير عن الأحاديث التي دل عليها المفهوم إنما هو بالنسبة إليهم كما ذكر، وإلا ففي كل حديث خير. ويجب في الأحاديث التي كتم أن تكون مما لا يتضمن تكليفًا، وقد اتفق مثله لكثير من الصحابة كتموا أحاديث، إما لأنه لا ضرورة تدعو إليها أو تدعو ولكن عارضها أنها لا يسعها عقل السامع، خشية ضرر سامعها أو ناقلها، ولا سيما فيما يتعلق بالأمراء والمنافقين، وتعيين أقوام وصفوا بما لا يحسن، وذم آخرين ولعنهم " انتهى كلام الإمام

ومن هنا يتبين لنا أن الحديث محمول على إدخاله الجنة في الجملة فإن كانت له معاص من الكبائر فهو فى المشيئة، فإن عذب ختم له بالجنة والله أعلم
ولله الحمد في الأولى والآخرة

المراجع والمصادر

١- القرطبي، أبو العباس القرطبي-"كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم"-دار السلام

٢- النووي، يحيى بن شرف النووي-شرح النووي على صحيح مسلم(دار الفكر، ٦٦٧هـ

(١) سورة الرعد -الآية ٢٩.
(٢)سورة النساء-الآية ١٧١
(٣):سورة ابراهيم-الآية٤٢